الدلالات الرمزية للجزائر وثورتها في الشعر العربي المعاصر

د. زرارقة الوكال
- المركز الجامعي - أفلو -

الملخص :

شكلت الثورة الجزائرية زخما نضاليا وثوريا كبيرا للأمة العربية في مواجهة أعدائها، ومعجزة عربية في استرجاع السيادة والكرامة والعزة ، وتأكيدا على أنّ ما أخذ بالقوة لا يسترد إلاّ بالقوة ، وتعامل الشعراء العرب مع الثورة الجزائرية على أنّها ثورة قومية جاءت لتؤكد أن الأمة العربية لم تنته كما اعتقد أعداؤها ، بل هي ثورة عبرت عن تعشق العربي للحرية وعن قوة عزيمته وإرادته من أجلها ، وأنها ثورة تحمل كل القيم الإنسانية التي تنشد الأخوة والعدل والحرية والمساواة بين أبناء البشر.

وتحولت الثورة الجزائرية وبطولاتها وشهدائها وأماكن البطولة فيها إلى رموز أسطورية استدعاها الشاعر العربي المعاصر لتشخيص واقعه المريض باحثا عن علاجه من صيدلية الثورة الجزائرية ، ولذلك وجدنا أن الشعر العربي المعاصر الموظف للرمز الثوري الجزائري يحمل دلالات رمزية متعددة تجسد التجربة الشعرية العربية المعاصرة ، ومعاناة الذات الشاعرة في مواجهة الذات المتسلطة. ومن ثمّة عبرت رمزية الجزائر وثورتها عن دلالة الإرادة الصادقة ، والرفض ، والمقاومة ، والتمرد والبعث ، والتضحية وغيرها من الدلالات.

Abstract :

The Algerian revolution formed a momentum of heroics and revolution for the Arab nation in the face of its enemies. It was an Arab miracle to regain sovereignty, dignity, pride, and also it was a proof that what was taken by force can only be restored by force. Therefore, Arab poets treated the Algerian revolution as a nationalist revolution which came to corroborate that the Arab nation is not over as its enemies thought. It was a revolution for expressing the Arab love of freedom, the power of determination and the will for it, and also it was a revolution which carried all human values that exemplify brotherhood, justice, freedom and the equality of human beings.

The Algerian revolution, its championships, it martyrs and its places of the championships turned into a mythic symbols which are summoned by the contemporary Arab poet to diagnose his illness, and look for a cure for his illness in the medical store of the Algerian revolution. Consequently, we find that contemporary Arabic poetry employee the revolutionary symbol of the Algerian revolution. It carries multiple symbolic incarnation of contemporary experience of the Arabic poetry. It is also for expressing the suffering of self-poet in the face of authoritarian self. Hence, the Algerian revolution symbolizes the sincere will and rejection, resistance, revolt, and rebirth, and sacrifice, and other meanings.

كان للثورة الجزائرية أثر كبير في نفسية الإنسان العربي المتعشق للحرية خاصة الشعراء الذين انفجر إبداعهم الشعري إزاءها مؤكدين صدق التجاوب مع أحداثها والتفاعل مع انتصاراتها ومؤازرتها بالكلمة لأنّ الشعراء العرب انطلقوا في تفاعلهم مع الثورة الجزائرية من " أنّ الجزائر جزء من الأمة العربية وأنّ نصرها هو نصر للعرب جميعا ، وكان فخرهم بثورة نوفمبر واعتزازهم بها هو تعبير عن إيمانهم بعروبة الجزائر أولا وتقديسا للحرية ثانيا وإيمانا بالقيم الإنسانية ثالثا"([1]).

وتحولت بذلك الثورة الجزائرية في الشعر العربي المعاصر إلى القضية الأساسية التي تبوأت الاهتمام والتأمل والتفكير أمام عظمتها وعبقريتها فكأن الشعر أمام انبهاره بها أصبح أسيرا لها "وقد كان كافيا للشعر إزاء الثورة أن يستلهم الواقع ، ويكفيه رضى أن يرقى إلى روعة هذا الواقع. "([2])

و استطاعت الثورة الجزائرية بانجازاتها و انتصاراتها و بطولاتها أن تُفَجِّر عواطف الشعراء الجزائريين خاصة والعرب عامة " بشعر ثوري عارم يسجل انتصارات الثورة و يبشر بالاستقلال و الغد الحر ، و يتغنى بالوطن و الحرية ، و يشارك المحزونين

و المتألمين ، و يضمد الجراح و يكفكف الدموع ، و يخلد الشهداء. "([3]) فمثلا في سوريا فقد وصل عدد القصائد التي نظمت في الجزائر وثورتها إلى مائة وثمان وتسعين (198) قصيدة، أنشدها أربعة وستون (64) شاعرا وشاعرة، ينتمون إلى إحدى وعشرين (21) مدينة وقرية سورية أشهرهم سليمان العيسى، ونزار قباني، ومحمد الحريري وهذا وفق الدراسة التي قام بها الباحث الجزائري الدكتور عثمان سعدي الذي قام كذلك بجمع الشعر العراقي حول الثورة الجزائرية في دراسة موسومة بـ" الثورة الجزائرية في الشعر العراقي" ضمت مائتين وخمسا وخمسين 255 قصيدة نظمها 107 شاعرا وشاعرة، كلهم من العراق، من أمثال :محمد مهدي الجواهري، وبدر شاكر السياب، وعبد الوهاب البياتي، ونازك الملائكة وغيرهم.

وعكس المتن الشعري العربي المعاصر أثناء سنوات الثورة وبعدها صدى هذه الملحمة التي تجسدت بعمق وصدق في دواوين الشعراء الذين واكبوها بأحاسيسهم ومشاعرهم فتألّق شعرهم بتألقها وتزوَّد طيلة فترة الثورة وبعدها بزخم إلهامي كبير وعانقها معانقة هادئة إلاَّ أنَّ " يقينه في حرية الغد لم يكن أقل سكينة واطمئنانا ، وكانت الثورة ببطولاتها ومآسيها طيلة السبع الشداد ترفد هذه السكينة بمزيد من العمق ، ومزيد من البعد."([4]) وغدت الثورة الجزائرية إنسانا وجغرافية رحما ولودا لرموز دالة ، ومعادلات موضوعية وأقنعة معبرة عما تعيشه الذات العربية الشاعرة في واقعها القومي.

ومن الجغرافيا التي احتلت فضاء واسعا في المتن الشعري العربي المعاصر "الأوراس" الذي تجاوز في الشعر العربي والجزائري نطاقه الجغرافي إلى نطاق جمالي رمزي حيث أصبح يشكِّل رمزا للجزائر والأمّة العربية في صراعها مع أعدائها فالأوراس يعدُّ " البداية لتحرير الوطن كلِّه بل تحرير الإرادة العربية قوميا وإنسانيا لأنَّ الاستعمار الفرنسي بوجوده قرنا وثلثا في بلادنا لم يستطع أنْ يبقى إلى ما بعد ذلك رغم تقدمه العلمي والحضاري والعسكري ، ومساعدة الحلف الأطلسي له ووقوف الإمبريالية العالمية معه."([5]) إلا أنَّه انهزم أمام إرادة الشعب الجزائري التي في حقيقتها إرادة كل المستضعفين في العالم خاصة العربي منه ومن هذا المنطلق ذاع صيت "الأوراس" الرمز و الملحمة والأسطورة في الشعر العربي الحديث والمعاصر ليعكس الانتفاضة القومية والإنسانية التي خلفتها الثورة الجزائرية في الواقعين العربي والإنساني فحفل الشعر العربي برمزية "الأوراس"، وغدا لارتباطه بانطلاق الثورة رمزا للبطولة والتضحية والفداء و الجهاد و الاستشهاد و الشموخ والكبرياء و الصمود. وجسَّد التأثير النفسي الذي خلفته الثورة الجزائرية في الوسط القومي و الإنساني ، وراح الشعراء يشيدون بثورة الجزائر و يتغنون بها و بأمجادها وملاحمها لدوافع كثيرة ومتعددة ومنها " الإيمان بأن الجزائر ستكون رصيد تحرير الأمة العربية من الصهيونية والهيمنة الاستعمارية واستغلال الامبريالية."([6])إلى جانب أنَّ الثورة الجزائرية في بُعْدِها القومي قد منحت الثقة المفقودة في نفسية الإنسان العربي ليتجاوز جدار الصمت و الخوف ويكسر قيود الاحتلال الداخلي و الخارجي لتحقيق كرامته وإنسانيته و وجوده. وغدا "الأوراس" لارتباطه بانطلاق الثورة رمزا للبطولة والتضحية و الفداء و الجهاد و الاستشهاد و الشموخ و الكبرياء و الصمود. هذه الدلالة الرمزية اصطبغ بها الشعر الجزائري والعربي الموظف لرمزية هذا المكان أثناء الثورة الجزائرية و بعدها ، إلى جانب أنَّ الشاعر العربي استدعاه في شعره ليمثل معادلات موضوعية تعكس واقعه ، وتجسد رؤيته ، وتترجم فلسفته وأفكاره ، وأراد من خلال الرمز الأوراسي " أن يحقق في المتخيل الشعري ما لم يستطعه في واقعه المبوء من أحلام شعرية جميلة تستمد نسجها من تقاسيم الأوراس."([7])

ومن الدلالات الرمزية التي حملها الأوراس في المنجز الشعري العربي المعاصر دلالة الانتماء القومي ، فقد تحوَّل هذا المعلم الطبيعي بفضل الثورة من امتداد جغرافي إلى امتداد قومي يمتزج مع التاريخ أحداثا وشخصيات فينتج صلابة الانتماء وسرمدية الهوية ، وهذا ما نسجله في هذه الأبيات للشاعر السوري سليمان العيسى:

البرنُس المشدود فوقك منذ عقبة

منذ طارق

يصل الدّم الباقي

آمنت بالأوراس بالثورة.

ويؤكد الشاعر في محطة أخرى هذه الدلالة فهو يرى في ثورة الجزائر ثورة الأمة العربية التي استقوى عليها االأعداء وأستأسد عليها البغاث ، وأن اندلاع لهيبها هو بعث جديد للأمة العربية بأسرها لاسترداد كرامتها وعزتها وسيادتها :

إنها أمتي تشدُّ جناحيـــها فوجه التاريخ فـــــجر انقـــلاب

حادث الجيل عودة الفارس حـــل الميـــــدان بعد الغياب

لا تسلني عنه تلفت تـــر الأنجم وشيا على جناح عقاب

لا تسلني .. طلائعي تملأ الأفق..كأنَّ السماء بعض الرحاب

لا تسلني ..جزائري تخضب التـــاريخ عطرا بحفنة من تراب

إنها أمتي تعود إلى الساح نبـــــيا وآية من كتاب([8])

ويرى الشاعر السوري سليمان العيسى أن ثورة الجزائر هي ثورة كل العرب والمسلمين على أعدائهم فهي ثورة تحمل كل الإرث القومي والديني ، تحمل الهوية العربية ، والقيم الإسلامية :

تتحدّاهم صخورك يا أوراس أن يوقفوا زئير القضاء

موجة تحمل العروبة فيها من جديد مقدّسات السماء([9])

فثورة نوفمبر التي يحمل الأوراس رمزيتها هي عند الشاعر سليمان العيسى ميلادٌ عربي جديد ، جذوره وأصوله عربية ، فهو امتداد لانتصارات موسى بن نصير وعقبة بن نافع وطارق بن زياد ، ومن ثَمَّة فالشاعر يتحدث عن الأوراس العروبة والأمجاد الماضية الحاضرة بانتصاراتها وبطولاتها لتصنع حاضرا عربيا جديدا يشع نوره من ملحمة الجزائر:

يا سفح يوسف، يا خضيب كمينه

يا روعة الأجداد في الأحفاد

يا إرث موسى في النسور وعقبة

والبحر حولك زورق بن زياد

يا شمعة التاريخ في أوراسنا

يا نبع ملحمتي بثغر الحادي

أتموت؟ تاريخ الرجولة فرية

كبرى إذا وضّاءة الأمجاد

أتموت؟ كلّ حنيّة بجزائري

ميلاد شعب رائع...

ميلادي...

وفي الدلالة نفسها يتغنى الشاعر العراقي (عبد المحسن عقراوي) بأنغام الأوراس (كلحن سيطر على آفاق لحن أسمر مستوحى من العروبة ، إيقاعه الأنغام العربية .)[10] مستبشرا بثورة الجزائر بأنَّها بداية خلاص الأمة من غبنها وفك قيودها وأغلالها :

أوراس يا أغرودة طافت بآفاق الوجود
سمراء من وحي العروبة زغردت عبر الحدود
عربية الإيقاع تنبض بالحياة ، وبالخلود
مفترة البسمات عن فجر تدفق يالوعود
وعد الجراح الداميات سنلقي رغم القيود
وسنترع الكفن الممزق ... عن رؤى فجر جديد
آمنت بالزحف المقدس منية الوطن الكبير
من أفق وهران العروبة رف صخاب الهدير
سأصوغ من قيتاري الدامي أغاريد العبور([11])

وتتأكَّد دلالة الانتماء التي يحملها رمز الأوراس في الشعر العربي المعاصر عند الشاعر الفلسطيني محمود درويش الذي يرى في الأوراس وطنه العربي الكبير ، وقبلته المقدسة ، فهو دينه ودنياه ، ومنطلق ثورته وتحرره:

بيتي على الأوراس كان مباحا
يستصرخ الدنيا مساء صباحا
...فالوحش يقتل ثائرا
و الأرض تنبت ألف ثائر
أوراس يا " أولمبنا " العربي
يا رب المآثر
إنا صنعنا الأنبياء على سفوحك
و المصائر
أوراس! يا خبزي و ديني
يا عبادة كل ثائر ([12]) .

ويحمل الأوراس في الشعر العربي المعاصر دلالة الخلاص من الواقع المتردي الذي تعيشه الأمة ، ومن النكبات والانتكاسات والانهزامات التي عاشتها وتعيشها ، فقد مثلت ثورة نوفمبر بالنسبة للشاعر العربي بداية استرجاع العربي لثقته بنفسه وأنَّ " الأمة العربية لا زالت بحيويتها التاريخية ، وبصلابة عودها في النضال ، أمَّة تستحق كل ما أنجزته في تاريخ البشرية ضد الشر والظلم والظلام."([13])ومن الشعراء الذين عبروا عن هذه الدلالة الشاعر بدر شاكر السياب في قصيدته " إلى جميلة" :

يا نفحة من عالم الآلهة
هبت على أقدامنا التائهة
لا تمسحيها من شواظ الدماء

انا سنمضي في طريق الفناء
ولترفعي أوراس حتى السماء
حتى تروي من مسيل الدماء
أعراق كل الناس كل الصخور
حتى نمس الله حتى نثور([14])

فالأوراس والثورة عند بدر شاكر السياب يحملان دلالة الخلاص من خطر الفناء الذي أصبح واقعا يهدد الأمة التي أصبحت على شفا حفرة منه ، فكانت ثورة نوفمبر بداية الإنقاذ والخلاص والتحرر والأمل في تغيير واقع الأمة التي حاصرتها الهزائم والنكبات ، ووقعت أسيرة الإحباطات ، وصفدت بأغلال الفشل والخيبات ، فسيادتها مسلوبة ، وأراضيها مستباحة ومنهوبة ، ومصيرها تتحكم فيه قوى القهر والاستكبار والطغيان. ونتيجة هذا الواقع الضرير رأى الشاعر العربي في نوفمبر التغيير المنتظر ، والانقلاب المأمول ، والتحول من واقع الاستعباد والاستبداد إلى واقع الحرية والسيادة والانعتاق ، ودلَّ هذا الحضور المكثف للجزائر وثورتها في الشعر العربي المعاصر على هذه الرغبة الجارفة في مجافاة الواقع الذي تعيشه الذات الشاعرة ومعاداته ، ولذلك مثَّلت الثورة الجزائرية بالنسبة لها هذا الرفض من جهة وبداية التغيير من جهة ثانيةّ.

وإلى جانب الجغرافية الجزائرية التي حولتها عظمة الثورة الجزائرية إلى رموز دالة ومعادلات موضوعية كان لبعض الشخصيات الجزائرية الثورية نصيب من هذا الـــتألق والخلود والحضور ، فقد استطاعت الثورة الجزائرية أن تلد أعلاما حولتهم مواقفهم وبطولاتهم وتضحياتهم وشجاعتهم إلى رموز دالة على ما عرفوا به من صفات العظمة والإباء أمثال "ديدوش مراد" ، و"العربي بن مهيدي" ، و"مصطفى بن بولعيد" ، و"جميلة بوحيرد" وجميلات أخريات. وكان لجميلة بوحيرد حضور مميز في الشعر العربي المعاصر فتعددت دلالاتها الرمزية وتنوعت " واستطاع الشاعر المعاصر أن يجعل من شخصية جميلة بوحيرد شخصية أسطورية."([15]) ونتيجة لما قدمته هذه المجاهدة من مواقف بطولية في مواجهة الاستكبار الفرنسي كواحدة من هذا الوطن الذي قدَّم أبناؤه من رجال ونساء تضحيات جسام لاسترجاع السيادة واسترداد الحرية ولذلك "لم تعد جميلة مجرد مناضلة وطنية عرفتها ثورة الجزائر، بل صارت رمزا للنضال الإنساني في سبيل التحرر.."([16])وقد كان اهتمام الشعراء العرب بهذا الرمز النضالي في إطار تمجيد هم للثورة الجزائرية وصانعيها فحديثهم عن جميلة " كان تمجيدا لنضال المرأة الجزائرية فالنساء الجزائريات صغن من قطع الحديد .. وهن يتزين لا بالجواهر وإنَّما بالشجاعة .. ويضئن للرجال جوانب الطريق المؤدية للخلود..."([17]).

ومن الدلالات الرمزية التي حفل بها هذا الرمز في الشعر العربي المعاصر دلالة التضحية في سبيل تحقيق الغايات السامية والقيم الإنسانية الفاضلة وإسعاد الآخرين وهذا ما يؤكده الشاعر عبد المعطي حجازي الذي استدعى هذا الرمز الثوري في قصيدة بعنوان (القديسة) فهو يراها مثل القديسة التي طلقت الدنيا ومفاتنها وبهارجها في سبيل إدخال السعادة على الآخرين إلى جانب ماتحمله من خير وفضيلة وعفة وطهارة :

لم تتحسس صدرها
حين اغتنى، و صار رمانا
و لم تكلم في أمور الحب إنسانا
فقد قضت عمرها

حاملة رسالة من التلال

إلى مخابئ الرجال في المدينة

قديستي ... كان اسمها جميلة([18])

وتتحوّل جميلة إلى دلالة الوطن القومي الذي يُنتهك عرضه ، وتسلب براءته ، وتسرق بسمته ، ويبقى هو مدافعا عن ذاته لوحده ، مضحيا بحياته دفاعا عن وجوده وهويته وكرامته ، في وقت تقاعس أبناؤه عن نصرته والدفاع عنه ، والذود عن حياضه ، وهم معجبون بصموده ومقاومته يهتفون له بالنصر ويتغنون ببطولاته ، وينشدون له أناشيد الفخر والاعتزاز به من بعيد وهذا ما تراه الشاعرة العراقية نازك الملائكة في رمز جميلة :

جميلةُ، تبكين خلف المسافاتِ، خلف البلادْ

وتُرخين شعرَكِ، كفَّكِ، دمعكِ فوق الوساد

أتبكين أنتِ، أتبكي جميله؟

أما منحوك اللحون السخيّات والأغنياتْ؟

ففيم الدموع إذن يا جميله؟

ونحن منحنا لوصف جراحِكِ كلَّ شفهْ

وجرَّحَنا الوصفُ خدَّش أسماعنا المرهفه

وأنت حملتِ القيود الثقيله

وحين تحرَّقتِ عطشى الشّفاهِ إلى كأس ماءْ

حشدنا اللّحون وقلنا سنَسكِبها بالغناءْ

وقلنا: لقد أرشفوها الدماءَ سقوْها اللهيبْ

وقلنا: لقد سمَّروها على خشبات صليب

ورحنا نغنّي لمجد البطوله

تعيش جميله، تعيش جميله

وذبنا غراما ببسمتها وعشِقنا الخدودْ

وأذكى هوانَا الجمالُ الذي أكلته القيودْ

أمن جرحها الثّرّ نُطعم أشعارنا بالمعاني؟

إذن فاخجلي يا أغاني وذوبي أمام الجراح النبيله

همُ حمَّلوها جراح السكاكين في سوء نيّه

فيا لَجراحٍ تعمِّق فيها نيوبُ فرنسا

فواخجْلتا من جراح جميله([19])

ويستغل الشاعر العربي بدر شاكر السياب رمز جميلة الجزائر والثورة والمقاومة ليبكي واقع العرب الذي هو فضاء للاستعباد والاستبداد والانسداد والخنوع والاستسلام ، لكنَّه يرى في الثورة الجزائرية بداية لحلحلة هذا الواقع وتغييره، وإذابة تجمده وجليده ، وبعث مواته :

لا تسمعيها .. إنَّ أصواتنا

تحزي بها الريح التي تنقل،
باب علينا ، من دم ، مقفل
ونحن نحصي ، ثمَّ ، أمواتنا.
الله لولا أنت يا فادية
ما أثمرت أغصاننا العارية
أو زنبقت أشعارنا القافية
إنا هنا .. في هوَّة داجية([20])

فالثورة الجزائرية من خلال رمز جميلة في قصيدة " السياب"إلى أختي جميلة" تجسِّد واقعين ، واقع من اليـــأس والقنـــوط والإحباط وهو واقع ثابت :

ما طاف لولا مقلتاك الشعاع
يوما بها ، نحن العراة الجياع ،
لا تسمعي ما لفَّقوا ، ما يذاع ،
ما زينوا ، ما خطَّ ذاك اليراع
انّا هنا كوم من الأعظم لم يبق فينا من مسيل الدم
شيء نروي منه قلب الحياة ([21])

وواقع ثان خلقته الثورة الجزائرية يحمل بذور أ مل في الخلاص من واقع الموت والفناء وهو واقع متغير ، ولذلك فقـــد حملت الثورة الجزائرية كل معاني الفخر والاعتزاز ، والثناء والإكبار ، وشكلت القدوة في التغيير والثورة والتحرر :

لك الغد الزاهي كما تشتهين ،
وأنت إذ أحسست ، إذ تسمعين ،
تعلو بك الآلام فوق التراب
فوق الذرى ، فوق انعقاد السحاب ،
تعلين حتى محفل الآلهة
كالربَّة الواهة ،
كالنسمة التائهة.([22])

كما أنَّ الثورة الجزائرية دفعت بفعل المقاومة إلى الأمام وفتحت أمام الشعوب العربية المستضعفة التمرد علـــى ظالميهـــا ومستعبديها ، وحركت سكونها ، وأعادت الثقة في فعل المقاومة من جديد لاسترداد الحقوق واسترجاعها ، وأصبحت بهذه الرمزية قبلة لكل ثائر ، وقدوة لكل مقاوم ، وأسوة لكل مناضل وفي ذلك يقول الشاعر محمود درويش مستدعيا جميلة رمزا للثورة والمقاومة في قصيدته "نشيد الرجال" :

فكل تمرد في الأرض
يزلزلنا
و كل جميلة في الأرض
تقبلنا

وكل حديقة في الأرض

نأكل حبة منها

و كل قصيدة في الأرض إذا رقصت نخاصرها

وكل يتيمة في الأرض إذا نادت نناصرها [23] .

ومن الدلالات الرمزية المتعددة التي أخذتها رمزية "جميلة" دلالة الصمود فقد كان لهذه الدلالة في حل القصائد العربية التي استدعت رمز جميلة حضور مكثف ، فجميلة الرمز هي ثورة على الطغيان ومقاومة للتجبر والبغي والظلم الذي يستهدف تدنيس سحر الوجود الإنساني ، ويبذر شوك الأسى في رباه ، وهي صمود أمام إمبراطورية الظلم الذي تمثله قوى الاستكبار العالمي هكذا يتمثل الشاعر محمد الفيتوري جميلة :

(...)لا تدعي نقمتهم تقتلك

لا تدعي وحمتهم تغسلك

إنك قبر الإمبراطورية

إنك تسقين بآلامك

أشعة الشمس الجزائرية

إنك تمشين بأقدامك

فوق جلال الإمبراطورية

فوق عروش قتله

ما زال في أعينهم جوع الملوك

ما زال في دمائهم صراخ القتلة([24])

وفي الدلالة نفسها (دلالة الصمود والعطاء) يسمو بدر شاكر السياب بجميلة إلى مصف القداسة فيشبهها بالربَّة البابلية (عشتار) إلهة الخصب والحب والإحسان ، و يرى أن عطاء جميلة لوطنها وقوميتها وإنسانيتها فاق ما قدمته عشتار لعابديها. كما يشبهها أيضا بالمسيح الذي صلب من أجل عقيدته .. وهي تتحمل العذاب من أجل قضيتها :

عشتار أم الخصب ، والحب ، والإحسان ، تلك الربة الوالهة

لم تعط ما أعطيت ، لم ترو بالأمطار ما رويت ، قلب الفقير

يا أختنا المشبوحة الباكية

أطرافك الدامية

بقطرن في قلبي ويبكين فيه

لم يلق ـــ ما تلقين ـــ أنت المسيح

أنت التي تفدين جرح الجريح([25])

وبنبرة نلتمس فيها مرارة الواقع القومي العربي المنتكس والمنكوب والمغلوب على أمره ، وبنبرة مصبوغة باليأس من التقاعس العربي في مناصرة قضاياه القومية ومنها الثورة الجزائرية والسير على نهجها لإحداث التغيير المأمول والمنتظر ليحقق للعرب وجودهم ، وكرامتهم ، وسيادتهم ، وإنسانيتهم ، يستدعي الشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي رمز جميلة الجزائر

والثورة ليعبر عن هذا الهم العربي الذي بدأت سحبه تنقعش في الجزائر ، معبرا من خلال ذلك عن دلالة الإعتزاز بهـــذه الثورة التي يعجز اليراع عن التعبير عنها:

يا جميلة
إنَّ ثلجا أسودا
يغمر بستان الطفولة
إنَّ برقا أحمرا
يحرق صلبان البطولة
إنَّ حرفا
ماردا
يولد في أرض الجزائر
يولد الليلة
لم تظفر به ريشة شاعر ([26])

إنَّ الحديث عن الدلالات الرمزية للثورة الجزائرية في الشعر العربي المعاصر أكبر من أن تحتويه مداخلة في صفحات بسبب المادة الشعرية الكبيرة التي تضمنت أحداث الثورة الجزائرية وتغنت بها ، وبما خلفته هذه الثورة في نفسية الإنسان العـــربي فقد " حظيت الثورة الجزائرية بإجماع الوجدان العربي ، ووقف منها المواطن العربي موقف المؤيد المتحمس لأحداثها سواء أكان شيوعيا أو إسلاميا أو قوميا عربيا أو بعثيا أو لا منتميا... والكل وجد فيها ضالته فراح يعزز بأحداثها ما يؤمن به ، وكل فئة من هذه الفئات المتصارعة فيما بينها تغنت بأحداث ثورة أول نوفمبر من زاوية انتمائها الحزبي أولا وانتمائهـــا لأي فئة كانت ، وهذا هو سر عظمة الثورة الجزائرية وسر غنى التراث الشعري الذي قيل في أحداثها."([27])

إنَّ هذا الحضور الشعري العربي المكثّف المتغني والمعتز بالثورة الجزائرية يدل على أصالة هذه الثورة ، وأصـــالة انتمائهـــا وهويتها ، وصدقها ، فهي ثورة جاءت بعد مخاض عسير ، وتضحيات جسام ، وسنين حبلى بالعمل المقـــاوم الـــذي لم ينقطع وإن اختلفت أساليبه وتنوعت . ولكن أحرار الجزائر خلال هذا السير المقاوم في استرجاع ســـيادتهم لم ييأســـوا وراحوا متسلحين بإيمانهم بعدالة قضيتهم ، ومتسلحين بماضيهم الوطني و القومي العريق المليئ بالتحديات والصـــراعات والانتصارات والبطولات ، استمدوا منه سلاحهم الذي قاوموا به عدوَّهم . إلى جانب أنّ الثورة الجزائرية حملت عبـــئ الأمة العربية والإسلامية التي تكالب عليها الأعداء وتآمروا ، فكانت ثورة كل العرب والمسلمين ، ولذلك وجـــد فيهـــا المثقفون العرب وعلى رأسهم الشعراء متنفسا لوجدانهم وقناعاتهم ورؤاهم وفلسفاتهم ، وهذا هو سر عظمة هذه الثـــورة التي " تميزت بطابع إنساني شامل يعتمد على نبذ كل ما هو مظلم في الحياة البشرية . والسعي وراء إحياء وتثبيت كـــل القيم المشرقة في التراث الإنساني."([28]).

الهوامش

[1] ــ ركيبي عبد الله،الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1982م ، ص. 20.

[2] - خرفي صالح ، الشعر الجزائري الحديث ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984م ، ص.233.

[3] – سعد الله أبو القاسم ، دراسات في الأدب الجزائري ط2، دار الآداب ، القاهرة ، 1977م ، ص.46.

[4] – خرفي صالح ، الشعر الجزائري الحديث ، ص.271.

[5]– ركيبي عبدالله ، الأوراس في الشعر العربي ، ص.13.

[6]– ركيبي عبدالله ، الأوراس في الشعر العربي ، ص.20.

[7] ــ وغليسي يوسف ، سيميائية الأوراس في القصيدة العربية المعاصرة ، الملتقى الدولي الخامس السيمياء والنص الأدبي ، ص92.

[8] ــ سليمان العيسى ، من ملحمة الجزائر ، الموسوعة العالمية للشعر العربي.

[9] ــ المصدر نفسه.

[10] ــ عثمان سعدي ، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي ، ج1 ، ط2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1985م ، ص. 103.

[11]ــ المرجع نفسه.

[12] ــ محمود درويش ، الديوان ، المجلد 1 ، ط14 ، دار العودة ، بيروت ، 1994 ، ص. 227.

[13] ــ عثمان سعدي ، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي ، ص.94.

[14] ــ عثمان سعدي ، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي ، ص.239ــ 240.

[15]ــ عز الدين إسماعيل ، الشعر العربي المعاصر ، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ، ط2 ،، دار العودة ، بيروت ، 1981م ، ص.217.

[16]ــ المرجع نفسه ، ص. 218.

[17] ــ عثمان سعدي ، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي ، ص. 110.

[18] ــ أحمد عبد المعطي حجازي، الديوان ، دار العودة، بيروت ،1973م ، ص 216 .

[19] عثمان سعدي ، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي ، ج2 ، ص.416 ــ 417 ــ

[20] ــ عثمان سعدي ، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي ، ج1 ، ص.239.

[21] ــ عثمان سعدي ، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي ، ص.239.

[22] ــ عثمان سعدي ، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي ،ج 1 ، ص.238.

[23] ــ محمود درويش ، الديوان ، المجلد 1 ، ط 14، دار العودة ، بيروت ، لبنان ، 1994، ص 150.

[24] ــ محمد الفيتوري ،الديوان ، ط3 ، دار العودة ، بيروت ،1979م ، ص 306 ،304

[25] ــ عثمان سعدي ، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي ،ج 1 ، ص. 114ــ

[26] ــ عثمان سعدي ، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي ،ج 1 ، ص.119ــ 120.

[27] ــ المرجع نفسه ، ص.38.

[28] ــ عثمان سعدي ، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي ،ص. 38.